

أحاديث رمضان ١٤٢٣هـ - أدعية مأثورة - الدرس (٠٤ - ٣٠) : دعاء الرسول في الطعام والشراب: اللهم أطعمت وأسقيت وأغنيت وأقنيت

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-١١-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الطعام والشراب هما النشاط الأول الذي يمارسه الإنسان كل يوم :

أيها الأخوة المؤمنون: الدعاء والطعام والشراب، النشاط الأول الذي يمارسه الإنسان كل يوم هو أن يأكل وأن يشرب، والله سبحانه وتعالى وصف الأنبياء وهم قمم البشر بأنهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، لأنهم بشر، ولأن كل خصائص البشر تجري عليهم إذا هم مفتقرون في وجودهم إلى الطعام والشراب، ومفتقرون في كسب



النشاط الأول اليومي للإنسان هو الطعام والشراب

ثمن الطعام والشراب إلى أن يمشوا في الأسواق، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. وكل واحد منا لابد من أن يأكل، ولا بد من أن يحصل رزقاً يشتري به الطعام والشراب، هذه سنة الله في خلقه، إذا المؤمن يأكل ويشرب، ولكن ماذا يأكل؟ وكيف يأكل؟ هذا مما يتميز به كل بني آدم، يأكلون ويشربون وقد قال الله عز وجل عن هؤلاء الشاردين:

(إِنَّهُمْ إِنَّا كَاتَبْنَا لَكُمْ فِيهِمْ أَكْلًا وَإِنْ لَهُمْ عَلَيْكُمْ لَكُلٌّ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ)

[سورة الفرقان: الآية ٤٤]

لكن المؤمن يأكل ويشرب إلا أنه يعلم ماذا ينبغي أن يأكل وكيف يأكل وكيف يشكر الله على أنه أكل.

الطيبات التي خلقها الله مسموح لنا أن نأخذ منها وأن نشكر الله عليها :

فالنقطة الأولى أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أحاديثه يقول:

((اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم))

[رواه أبو عبيد في الغريب عن عمر]



الإنسان حينما يُعوّد نفسه على المبالغة في الاستمتاع بطيبات الحياة ثم يقل دخله لسبب أو لآخر يرى نفسه مضطراً إلى كسب المال الحرام، أو إلى ممالئة السلطان، أما إذا عود نفسه على عيش خشن، أحياناً على كميات قليلة جداً من الطعام، على طعام بسيط جداً، رخيص جداً، إذا عود نفسه على هذا بقي على مبدئه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

إذاً من صفات المؤمن أنه إذا أكل طيباً يشكر الله ويحمده، وأنه إذا اضطر يمكن أن يعيش حياة خسنة جداً حفاظاً على مبادئه لأن كلمة لا يقولها المؤمن بملء فمه:

((رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصًا أبيضَ فَقَالَ: تُوْبِكَ هَذَا عَسِيْلٌ أَمْ جَدِيْدٌ؟ قَالَ: لَا بَلْ عَسِيْلٌ، قَالَ: النَّبَسُ جَدِيْدًا وَعِشْ حَمِيْدًا وَمَتْ شَهِِيْدًا))

[ابن ماجه، أحمد عن ابن عمر]

زينة الله عز وجل في الطعام والشراب واللباس لم تحرم على المؤمن:

((النَّبَسُ جَدِيْدًا وَعِشْ حَمِيْدًا وَمَتْ شَهِِيْدًا))

[ابن ماجه، أحمد عن ابن عمر]

معنى ذلك أن هذه الطيبات التي خلقها الله مسموح لنا أن نأخذ منها، وأن نشكر الله عليها.

من يصبر يأتيه الرزق الحلال :

والنبي عليه الصلاة والسلام إذا أكل كان يقول وقد وجهنا فقال:

((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ))

[أبو داود، الترمذي، ابن ماجه، أحمد عن عائشة]

معنى كلمة بسم الله أي لولا أن الله خلق هذا الطعام لما أكلته، أنا أكله بسم الله الذي خلقه، بسم الله الذي أكرمني به، بسم الله الذي أعطاني إياه، وقد ذكرت لكم أن الإنسان مقسوم رزقه، لكن طريقة وصول هذا الرزق إليه باختياره، وكننت ذكرت مرة أن تفاحة على شجرة



التفاحة على الشجرة قد تؤكل سرقة أو ضيافة أو تسولا

في بستان، هي لفلان، فلان قد يأكلها سرقة لا سمح الله، وقد يأكلها ضيافة، وقد يأكلها تسولاً، وقد يأكلها شراءً، وقد يأكلها هدية، تنوعت الطرق في وصولها إليه بحسب اختياره واستقامته وورعه لكن هذه التفاحة له.

إذاً حينما يصبر الإنسان يأتيه الرزق الحلال وقد قال عليه الصلاة:

**((أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ - وهناك زيادة ببعض الروايات-
واستجملوا مهنكم))**

[ابن ماجه عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي آخِرِهِ))

[أبو داود، الترمذي، ابن ماجه، أحمد عن عائشة]

انعدام قيمة المال إن لم يكن هناك طعام يأكله الإنسان :

وفي حديث آخر من شمانله عليه الصلاة و السلام أنه إذا أكل أو شرب يقول:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ))

[ابن ماجه عن أبي سعيد]

ما قيمة المال إن لم يكن هناك طعام تأكله؟ والناس يتوهمون أنهم يدفعون ثمن طعامهم، إنهم يدفعون ثمن خدمات حفت بطعامهم، التفاحة

مثلاً لا يمكن لبشر أن يصنعها، تدفع أنت ثمن الخدمات التي رافقت هذه الفاكهة، تدفع ثمن الخدمات، أما:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا

مُسْلِمِينَ))

وقال عليه الصلاة والسلام:



هناك من لا يستطيع الأكل بل يحقن الغذاء حقناً

((إِنَّ اللَّهَ لَيْرِضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيُحْمَدَهُ عَلَيْهَا))

[مسلم، أحمد، الترمذي عن أنس]

هناك أناس لا يستطيعون أن يأكلوا يأتيهم الغذاء على شكل سائل يحقن في أوردهم، النبي عليه الصلاة و السلام من أدعيته أنه إذا خرج من الخلاء يقول:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في منفعته، وأذهب عني أذاه))

[البيهقي عن عائشة]

هذا علم، ذاق طعم الطعام، و بقي في جسمه المواد المغذية المرممة، المواد التي تنقلب إلى طاقة، أما الفضلات فخرجت ببسر و سلام.

نعم الله عز وجل لا يعرفها إلا من فقدها :

أيها الأخوة: من أدعية النبي عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ خَدَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَّبَ لَهُ طَعَامًا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ فَإِذَا فَرَعَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ اطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ...))

[أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ]

ألا ترون أن البواخر حينما تغرق و يركب بعض الركاب في قوارب النجاة أن معظمهم يموت عطشاً و هو على البحر؟ لو أن الماء كان أجاجاً ماذا نفعل؟ من الذي جعل هذا الماء العذب الفرات في الينابيع و الأنهار؟ يموت الإنسان في البحر عطشاً، البحر كله ماء، من جعله عذباً فراتاً و جعل البحر ملحاً أجاجاً؟ أحياناً الشيء المؤلف قد لا ننتبه إليه

الشجرة معمل صامت بلا ضجيج و بلا صوت، تحمل هذه الفاكهة اليانعة، الفاكهة حجمها مناسب، طعمها طيب، رائحتها زكية، قوامها يتناسب مع أسنانك، كل ما في الفاكهة متناسب مع جسمك، محببة، مرغوبة، من جعل هذا الطعام طيباً؟ لو أن الطعام الذي يقوي أجسادنا مر أو لا يستساغ ماذا نفعل؟



((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ))

و في الدعاء الثاني:

((عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ خَدَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَّبَ لَهُ طَعَامًا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَإِذَا فَرَعَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ اللَّهُمَّ اطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ وَهَدَيْتَ وَاجْتَبَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أُعْطِيتُ))

[أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ]

أطعمت و سقيت.

الطعام و الشراب و نتائج الاستقلاب من نعم الله الكبرى على الإنسان :

أذكر مرة أن أحد الأخوة الكرام توفاه الله عز وجل بفشل كلوي، فكان يذهب كل أسبوع إلى المستشفى ليغسل دمه، مرة عنفته الممرضة و قالت له: لا تشرب هذا الأسبوع ماء الآلة معطلة، تركت هذه الملاحظة في ذهني انطباعاً أن الإنسان حينما يشرب إذا عطش هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، تشرب إذا عطشت، أما هذا فممنوع أن يشرب لأن الآلة معطلة، هذه الكلية التي في جسم الإنسان حجمها بحجم قبضة اليد لا صوت لها، و لا عبء في حملها، أما جهاز التنقية فيزيد عن حجم هذه الطاولة، ينبغي أن تستلقي ست ساعات كي يغسل الدم و المبلغ كبير، فالذي أطعمنا و سقانا و سهل خروج الفضلات و خروج الماء الذي يحمل حمض البول و نتائج الاستقلاب في الجسم، هذا من نعم الله الكبرى:

((عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ خَدَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَّبَ لَهُ طَعَامًا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ فَإِذَا فَرَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ اطْعَمْتِ وَأَسْقَيْتِ وَأَغْنَيْتِ وَأَقْنَيْتِ وَهَدَيْتِ وَاجْتَبَيْتِ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أُعْطِيتِ))

[أحمد عن عبد الرحمن بن جبير]

ما يقوله عليه الصلاة و السلام عقب تناول الطعام :

و هناك دعاء آخر يقول عليه الصلاة و السلام عقب تناول الطعام:

((مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ))

[أبو داود، الدارمي عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه]

النتاج الزراعي أحياناً يكون سعره رخيصاً جداً، مبذول فيه جهود كبيرة جداً، و جهود علمية، و جهود التسميد، و جهود التهوية والتدفئة، و أنت لا تدري تأكل هذه الحاجة، أو هذه الفاكهة، أو أنواع الخضراوات بسعر معتدل جداً، بسبب كثرة الإنتاج، و قد ورد أن:

((عَلِمَا السَّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعْرٌ لَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعَّرُ....))

[الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي عن أنس]

و في دعاء آخر:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا))

[أبو داود عن أبي أيوب الأنصاري]

عندما طلب خليفة كأس ماء فقال له من حوله: يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس إذا منع منك؟ قال: بنصف ملكي، قال: فإذا منع إخراجي؟ قال: بنصف ملكي الآخر. الذين عندهم احتباس في البول يعلمون هذه النعمة التي أنعم الله بها على عباده أن هذا الماء تشربه وجعل الله له مخرجاً.

من حصل نعمة الهدى و الصحة و الكفاية فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها :

وفي دعاء آخر:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا وَهَدَانَا، وَالَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، وَمَنْ كُلَّ الْإِحْسَانِ آتَانَا))

[كتاب ابن السني عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

معنى ذلك أن نعمة الهدى لا تعدلها نعمة، النعمة الأولى نعمة الهدى، والنعمة الثانية نعمة الصحة، والنعمة الثالثة نعمة الكفاية، ومن أصبح آمناً في سربه معافى في جسمه، عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها، ثلاث نعم لا تعدلها نعم.

ملك سأل وزيره: من الملك؟ والملك جبار قال: أنت و هل هناك ملك آخر؟ فقال له: لا، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، وإن عرفناه جهدنا في إذلاله.

فالإنسان الذي أنعم الله عليه بنعمة الهدى، وأنعم الله بنعمة الصحة، وأنعم الله عليه بنعمة الكفاية، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها.

فوائد الخل :



كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته فلم يجد شيئاً يأكله يقول: "إني صائم". إن كان هناك طعام يأكل ويشكر، إن لم يكن هناك طعام يصبر، إني صائم، وقد قدم له خل مرة فقال:

((نعم الإدام الخل))

[أبو داود عن جابر]

ولعل سبب هذا الحديث جبراً لهذا الأخ الذي قدم له خللاً فقط ثم اكتشف أن في

الخل فوائد لا يعلمها إلا الله، الخل له خصائص في إذابة الشحوم، وفي تنقية التوعية لا يعلمها إلا الله، ففهم الحديث على معنى آخر أن الخل مادة أساسية في غذائنا، والحديث الآن عن خل التفاح لا

يصدق، عن فوائد خل التفاح، فالإنسان حينما يأكل أو يشرب خلا من حين إلى آخر قد علمت أن كأس شاي من خل التفاح يعيد للجسم حيويته ونشاطه، ويعمل على انتظام عمل الغدد الصماء، وهي من أخطر أجهزة الجسم.

إذا نعم الإدام الخل قالها تواضعاً، وقالها جبراً، وقالها علماً.

الإنسان مكرم من كل الجهات :

الآن هذا الطعام إذا خرج كان عليه الصلاة والسلام يقول:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

هل تصدقون أن إنساناً أصيب بشلل في مستقيمته، ماذا يعمل كي يذهب هذا الأذى؟ شيء لا يصدق، الأم لا تحتمل، جهود مستقذرة لا تقبل، لو أن هذا المستقيم أصابه الشلل هناك أمراض تجعل حياة الإنسان جحيماً:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

والدعاء الذي ذكرته في مقدمة الدرس:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في منفعته، وأذهب عني أذاه))

[البهقي عن عائشة]

أيها الأخوة: هذه الأدعية الحقيقية أن الإنسان إذا دعاها هو موصول بالله عز وجل هذا معنى قول الله عز وجل:

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَانُونَ)

[سورة المعارج: الآية ٢٣]

جلست إلى الطعام هناك من يشتهي أن يأكل، هناك من يأكل أكلاً لا يقيم أوده، والحديث عن ألوان الفقر في العالم حديث غني جداً، بتفاصيل مذهلة، يتفطر لها القلب، فإذا وجد أحدنا ما يأكل فهذه نعمة كبرى، ويجب أن يشكر الله عليها، وأن يعلم أن الله سمح له أن يأكل، أعطاه أجهزة تسوغ له أن يأكل، أعطاه أجهزة تطرح عنه الفضلات، أعطاه مالاً يشتري به الطعام، إذا المؤمن مكرم من كل الجهات، لكنه يأكل ليعيش، لا يعيش ليأكل، وهذا الفرق الكبير بين المؤمن وغير المؤمن، هو يأكل ليعيش، بينما غير المؤمن يعيش ليأكل، أما إذا ارتقى المؤمن فهو يعيش ليعرف الله، هناك من يعيش ليأكل هذا مستوى بهيمي، وهناك من يأكل ليعيش، وهناك من يعيش لمعرفة الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين